



الانحياز الى القصيدة

لم تكن يوما سيرورة الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة سهلة. فمنذ ما يقارب الثلاثة عقود، لا تكاد تخرج من ازمة حتى تقع في اخرى، حتى بدا وكأن تاريخها مجموعة ازلمات. او لعله كله ازمة طويلة مزمنة تتشارك عوامل خارجية عدة، وبعض العوامل الذاتية ايضا، في تسيرها. بيد ان الوعي بحتمية وقوع الازمات ومن ثم حتمية تجاوزها صار بدوره يعطي الحركة الفلسطينية شيئا من المناعة، او يجعل من يتتبع امورها يبحث في ما هو مصطنع في العديد من تلك الازمات. وكان آخر دليل على تلك التساؤلات المشككة التي اثارها قبل اسبوعين نبأ استقالة ثلاثة من اعضاء الوفد الفلسطيني للمفاوض. ومع ذلك، يحدث ان تحصل احيانا تطورات لا يفكر احد بالتشكيك فيها، وان تكن متوقعة، ولا حتى بتحليلها من كثرة ما تثيره من احباط ومرارة.

استقالة محمود درويش من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي تماما من هذا النوع. ليس لأنه اكثر صدقية من فيصل الحسيني او صائب عريقات وقبلهما الشيخ عبد الحميد السايح، وانما لأن شخصية الشاعر الكبير كانت دائما متلازمة مع وعي الشعب الفلسطيني لنفسه وللصراع الذي يخوضه.

يعرف الجمهور العريض الشاعر، لكنه يجهل في معظم الاحيان ان محمود درويش هو من افطن العقول السياسية على الساحة الفلسطينية. وليس ادل على هذه النباهة السياسية الا الوعي الذي ميّز دوما توظيفه لرصيده الادبي والشعبي لمصلحة الحركة الوطنية الفلسطينية، هذا الوعي الذي جعله يقف في كل المحطات الاساسية حيث يجب: في خروجه الطوعي من السجن الاسرائيلي الكبير وانضوائه تحت لواء المقاومة الفلسطينية، وفي مساهمته في صوغ النصوص الاساسية للحركة الوطنية الفلسطينية منذ عشرين عاما - من خطاب ياسر عرفات في الامم المتحدة عام ١٩٧٤ الى اعلان دولة فلسطين عام ١٩٨٨ - وفي مساهمته الصدامية المستندة الى حس تاريخي مرهف في الحوار مع "معسكر السلام" في اسرائيل وفي انتصاره لاستقلالية القرار الفلسطيني في ١٩٨٣ و١٩٨٤.

وفي هذه المعركة الاخيرة بالذات، كان الدور السياسي الذي لعبه محمود درويش اساسيا في ترجيح الكفة لمصلحة القيادة الفلسطينية الشرعية في وجه تمرد ضباط "فتح". ويذكر هنا ان درويش استطاع حينها المحافظة على وحدة اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وهي من العوامل التي اتاحت عقد المجلس الوطني في عمان في تشرين الثاني ١٩٨٤. كما يذكر انه قبل ان يضع نفسه "في فوهة المدفع" بدخوله، بطلب من عرفات، الى اللجنة التنفيذية للمنظمة.

ولا بد من القول هنا ان انضمام درويش الى اللجنة التنفيذية والبقاء فيها لم يكن يوما نتيجة لحب المناصب. اذ يعرف كل من تابع اعمال المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الاخيرة ان درويش



كان يريد التحرر من عبء المسؤولية السياسية المباشرة وانه لم يقبل العزوف عن هذا القرار الا باصرار شديد من عرفات الحريص على جمع اكبر دعم ممكن في وجه المعارضات الصادقة وغير الصادقة التي كان يتوقع ان يثيرها دخول المنظمة في عملية التسوية السلمية.

غير ان هذه الرغبة في التخلي عن المسؤوليات القيادية عادت تبرز عند محمود درويش بعد ان اخذت التسوية منحى لم يكن مقتنعا به. فهو، على رغم موافقته على دخول المنظمة عملية مدريد، لم يكن يخفي تخوفاته من حجم التنازلات التاريخية المطلوبة اميركيا وعربيا من الطرف الفلسطيني. ومع انه ظل يرفض اتخاذ اي موقف علني من شأنه اضعاف الموقف التفاوضي الفلسطيني، الا انه كان يقول بحزم في حلفاته الخاصة انه لن يقبل التوقيع على ما كان يتوقعه منذ اشهر سلاما منقوصا.

هذا هو بالطبع المعنى المبدئي لاستقالة درويش، في الوقت الذي كثر الكلام عن حلّ "تجريبي" للحكم الذاتي محصور في غزة واريحا. اكثر من ذلك، تعني الاستقالة ان الحل الذي يرفضه محمود درويش صار قريبا جدا، او على الاقل، انه لم يعد هناك من مجال لمنع القيادة الفلسطينية من الموافقة عليه. لكنها تعني ايضا ان هيكلية منظمة التحرير لم تعد تحتل المعارضة الصامتة، وهو ما يؤكد الانطباع الشائع في ان المنظمة نفسها مهددة، ومهددة من الداخل، بل ومن طرف قيادتها. ولعل ما جعل محمود درويش ينتصر لياسر عرفات ضد محاولات المصادرة عامي ١٩٨٣ و١٩٨٤ هو الذي يدفعه اليوم الى الوقوف ضده.

الا ان معنى الاستقالة ليس فقط سياسيا بالمعنى المباشر للكلمة. فاذا كان محمود بالنسبة للذين يعرفونه سياسيا حدقا، فإنه قبل كل شيء الشاعر الكبير الذي جعل الحكومة الاسرائيلية والكنيست يفتحون معركة ضد قصيدة.

كانت القصيدة تقول: "اخرجوا من برنا، من بحرنا، من جوتنا". نحن نعرف، ومحمود يعرف ايضا، انهم لن يخرجوا بهذا القرب. لكنه باختياره انحياز السياسة الى القصيدة، يعيد بعث روح الممانعة، فجعلنا ندرك اننا، في الوقت الذي نضطر الى الركوع والاستسلام المطلوبين عالميا وعربيا، نجد ما يدفعنا الى الايمان اننا لن نصلح.

سمير قصير



Id-Reference	93-Pr-000094	
Media	(Support)	HC
Title		الانحياز الى القصيدة
Subtitle		
Section		قضايا النهار
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		١٩٩٣/٨/٢٦
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	محمود درويش - ياسر عرفات
	Locations	فلسطين
	Dates	١٩٧٤ , ١٩٨٨ , ١٩٨٣ و ١٩٨٤
	Themes	فلسطين - حركة وطنية - أزمة - محمود درويش - استقالة - لجنة تنفيذية - منظمة تحرير - سياسة - مقاومة - شعر - أدب - قصيدة - اسرائيل - مواجهة - مفاوضات - سلام - حكم ذاتي - معارضة
Subject		تحليل معنى استقالة الشاعر محمود درويش من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وقراءة في دوره السياسي الذي خاضه إلى جانب ياسر عرفات ونضاله كشاعر باختياره انحياز السياسة إلى القصيدة.